(٤٤)

"خارج البرواز"

لم يكن هو الذى وضع صورته داخل البرواز، بل وضعها من حوله فى إطارٍ صنعوه بأيديهم، ليكون هو السياج الذى يحمى صورته من العبث بها، أو التطاول عليها، بالإضافة لأهميته فى أن يحجب شخصه عن التحرك خارج ذلك الإطار أو التحررمنه. ونظرًا لإعجابه الشديد بذلك البرواز، الذى سيضمن له طول البقاء، والذى سيحقق له المزيد من المريدين والأتباع، لم يعترض على تقييد صورته فى برواز ضيقٍ مهما كبرحجمه، بل ازداد إعجابه به، ولم يتذمر ذات مرةٍ من أسره هو شخصيًا داخل إطارٍ وضعه له من حوله دون اللجوء لمشورته.

كان البرواز جميلاً حقًا، وظل كذلك فى نظره، حتى أنه اعتاد الحياة داخله، وتآلف مع إحاطته به فى كل مكانٍ وفى أى وقت. ولم يكن يضيق بذلك السياج اللعين سوى رفيق دربه، الذى لم يقبل مثله أن يحاصره أحد بإطارٍ يقيد حركته أو يعوق عقله الحرعن الانطلاق فى الفضاء الفسيح، فظل سائحًا فى كل الدروب، وسابحًا فى أعماق البحور، منقبًا عن مناجم العلم، ومفتشًا عن لآلئ الفكر، حتى اهتدى بعد ارتياب، واقتدى بعد احتياج، غيرمكترثٍ بأى أتباع أو مهتم بأدنى شهرةٍ أو انبهار، فى حين ظل صاحبه أسيرصورته المحاطة بالبرواز، وغيرقادرٍ على الفرارمنها أو الانقلاب عليها.

وبمرور الوقت سقط البرواز الجميل من على الحائط القديم، فأضحى هشيمًا متناثرًا فى كل مكان، ولم يستطع أحد أن يلملم شعثه بعد تحطمه، بعدما فشلوا جميعًا فى حمايته من السقوط رغم محاولات من صنعوا البرواز أن يظل هو الإطار الواقى لصورة صاحبه من كل الصدمات وكافة الصدامات. وعندما علم رفيق دربه الطليق بسقوط صورة صديقه وتهشُم البرواز الذى بات عمرًا طويلاً سجانًا لرفيقه صاحب الصورة، كما لو كان ثعبانًا وقف به الزمن عند لحظة التفافه حول فريسته ليجهز عليها معتصرًا لأوصالها قبل التهامه جسدها، تأكد حينذاك من حسن ظنه بالحرية وأنها أثمن بكثير من قيمة أى برواز، وأن الحياة أرقى بكثير من أن يَسجن صاحبها نفسه داخل أى إطار أو سياج مهما كانت الإغراءات.